التزكية

القصد

سلسلة الحق والنور
الرسالة الثامنة

ميزان الاعتدال

لحفظ الدين والأحوال

الجزء الثاني / أهل التقوى

بقلم

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل النقشبندي الحسني

لجنة الدعوة والإرشاد
لنقابة السادة الأشراف الهاشميين
في العراق

التحلية

التخلية

الطبعة الثانية
مزيد فيها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِيزَانُ الاعتِدَالِ لِحفظِ الدِّينِ والأحوالِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين، سُبحانكَ؛ لا نُحصي ثناءً عليك؛ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ؛ فلكَ الحمدُ حتى ترضى. والصّلاةُ والسّلامُ على عَبدِكَ وحَبيبكَ مُحمّدٍ المصطفى الأمين، وعلى آلهِ الأصفياءِ المُكرمين، وأصحابهِ الأتقياءِ الغُرِ المَيامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يَوْمِ الدِّين، هم: أهلُ الصدق والصفا والإخلاص والوفا والتُقى، ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ (٥٩)﴾ (١).

أمّا بعدُ: فكنا قد أوضحنا في الرسالة الثامنة بجزئها الأول، أنَّ السائرينَ إلى الله تعالى المتشبثين بالدّين، والمحبّةِ، والدعوة على ثلاثة أصناف:-

(١) سورة النمل.

((أهـلُ العلـمِ وأهـلُ التقـوى وأهـلُ المعرفـةِ))؛

وتحدثنا في الجزء الأول من الرسالة ـ عن الصنف الأول منها، وهم أهلُ العلمِ؛ ونستكملُ الحـديثَ بفضل الله تعالى، وكرمه ـ عن الصنف الثاني من هذه الأصناف وهم أهـلُ التقـوى، فنقـول وبـالله التوفيق: أهلُ التقوى هم: أوليـاءُ اللهِ وخاصـتُهُ:- لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾﴾[1]، وقال ـ جـلَّ شـأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[2]، فمن كان تقياً كان لله ولياً، ولا ولايةَ إلا بالتقوى؛

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) سورة يونس.

لأنَّ الشريعةَ الظاهريةَ المحمديةَ هي ميـزانُ الحـقِ والباطلِ، فأيّ سرٍّ يُخالفُ ذلك فهو باطلٌ.

ذكر الإمـام البَيْضَـاوي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في "تفسيره" شارحاً هذه الآية موضحاً صفة أوليـاء الله تعالى قائلاً: الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامـة[1]. أي: الـذين يتقربـون إليـه بالطاعـة والأدب، ويتقرب إليهم ﷻ بالرحمة والمحبة.

وقال أبو بكـر الأصـم ـ رحمـه الله تعـالى ـ في حقهم: أولياءُ الله هم الـذين تـولى الله هـدايتهم، وتولوا القيام بحـق العبوديـة لله تعـالى، والـدعوة إليه[2].

(١) ((أنوار التتريل وأسرار التأويل)) المسمى ((تفسير البيضاوي)): لأبي الخير عبد الله بن عمـر الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، (ص٢٠٦).

(٢) ((حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين)): للشيخ احمد بن محمـد الخلـوتي الشـهير بالصاوي (ت١٢٤١هـ) (٢/١٩٥).

أما في فضلهم، فقد أخرج عبدُ اللهِ بن المبارك ـ عن الحسن المجتبى ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قـالَ: «أنَّ المنادي يُنـادي يـوم القيامـة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنـتم تحزنـون، فترفع الخلائق رؤوسهم يقولون: نحن عباد الله ﷻ، ثم ينادي الثانية: الذين آمنوا بآياتنا وكـانوا مسـلمين، فينكّسُ الكفار رؤوسهم، ويبقى الموحـدون رافعـي رؤوسهم، ثم ينادي الثالثة: الـذين آمنـوا وكـانوا يتقون، فينكّسُ أهل الكبائر رؤوسهم، ويبقى أهـل التقوى رافعي رؤوسهم»[1]؛ قـد أزال الله الكـريم عنهم الخـوف والحـزن كمـا وعـدهم، لأنـه أكـرم الأكرمين، لا يخذل وليه ولا يُسـلمه عنـد الهلكـة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾[2].

---

(١) ((الرعاية لحقوق الله)): لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ)، (ص٣٤).

(٢) سورة الدخان.

ـ ولفظ ﴿ٱتَّقُواْ﴾ هو لفظٌ شاملٌ لما يتعلق بالسعي الإنساني من هذه المعاني؛ أو هي [أي: التقوى]: كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ الخيرات؛ لأنَّ حقيقةَ التقوى: مُجانَبةُ ما يُبعِدُكَ عن الله، ومُباشرةُ ما يُقربُكَ إليه ـ جلَّ وعلا؛ كما قال ـ عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «جماعُ التقوى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[(1)]».

ومن عظيم شرف التقوى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ۝١٣﴾[(2)]، أي: إن أرفعكم منزلةً لديه عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا والآخرة هو الأتقى؛ فإن

---

(١) سورة النحل، ((معالم التنزيل)) المسمى بـ ((تفسير البغوي)): لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي: (ت٥١٠) (٥٩/١).

(٢) سورة الحجرات.

فاخرتم ففاخروا بالتقوى[1]؛ وفي الحـديث: ﴿يا أيها الناسُ ألا إن ربَّكم واحدٌ، لا فضـــلَ لعـــربيٍّ علـــى عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عَرَبِيٍّ، ولا أسودَ على أحمرَ، ولا لأحمرَ على أسودَ إلا بالتقوى، ألا هل بلغّـــتُ ـــ قالوا: بلى يا رسول الله! قـــال: فليبلّـــغ الشـــاهدُ الغائبَ﴾، رواه الإمام البيهقي[2].

والتقـوى هـي: وصـيةُ الله تعـالى ــ للأولـين والآخرين: كما قال عَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ١٣١﴾[3]، أي: أمرنـاهم بأبلغ وجه، والمراد بهم اليهود. والنصـارى. ومـن قبلهم مـن الأمـم، ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾، يـا أُمـةَ مُحمّـدٍ في كتابكم، ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، والمعنى: أمرناهم وإيـاكم

---

(١) ((صفوة البيان لمعاني القران)): للشيخ حسنين محمد مخلوف ــ مفتي الديار المصرية السابق: (ص٦٥٩).

(٢) ((شعب الإيمان)): لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت٤٥٨هـ)، (٤/٢٨٩).

(٣) سورة النساء.

بالتقوى؛ ومن ذلك قوله ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[1]، والحكمةُ الحقيقيةُ من الصيامِ هي التقوى؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾؛ لذا، فقد خّصه الله بالإضافة إليه سبحانه؛ كما ثبت في الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال مخبراً عن ربّه: «يقول الله تبارك وتعالى كلّ عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أَجْزِي به»، الحديث[2].

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((صحيح البخاري)):لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ): كتاب اللباس ــ باب ما يذكر في المسك، ((صحيح مسلم)): لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١): كتاب الصيام ــ باب فضل الصيام، قال ابن عيينة: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها إذا كان يوم القيامة يحاسب الله تعالى عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة كما في ((سنن البيهقي الكبرى)): (٣٠٥/٤).

وإنما خصّ الصوم بأنه له وإن كانت العبادات كلّها له لأمرين بايَن الصوم بهما سائر العبادات.

احدهما - أن الصوم يمنع من ملاذّ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات.

الثاني - أن الصوم سرّ بين العبد وبين ربّه لا يظهر إلا له؛ فلذلك صار مختصّاً به، وما سواه من العبادات ظاهر، ربّما فعله تصنُّعاً ورياءً؛ فلهذا صار أخص بالصوم من غيره [1].

ولعظيم قدر التقوى - عند الله عزّ وجلّ فقد ذكرها الحق - جلّ وعلا - في القُرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعاً؛ ومن عظيم هذا، قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ

(١) ((الجامع لأحكام القرآن)) المسمى بـ ((تفسير القرطبي)): لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاريّ القرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، (٢/٢٧٤).

نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[1]، **فـــــالتقوى** أخـص صـفة جعلـها الله ﷻ تـلازم العبـدَ يَـوْمَ البعـثِ والنشـورِ، والوقـوفِ بـين يـدي المـولى ـ تبارك وتعالى وتقدس.

ـ قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعـالى: اليـوم عبارة عن زمان مخصوص، وذلـك لا يتقـي، وإنمـا يتقي ما يحدث فيه مـن الشـدة والأهـوال واتقـاء تلك الأهوال لا يمكـن إلا في دار الـدنيا بمجانبـة المعاصـي الواجبـات، فصـار قولـه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ يتضمن الأمر بجميع أقسام التكاليف[2].

واعلم جيداً: بعد كلِّ كمالٍ تقوى؛ وذلـك لمـا نــزل قولـــه تعـــالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((التفسير الكبير)): لأبي محمد بن الحسن بن الحسين التيمي البكري المعروف بـــ ((الفخـــر الرازي)) (ت٦٠٦هـــ)، (٧/١٠٤).

عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾[1]، قال ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما: لم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرامٌ ولا شيءٌ من الفرائضِ والسننِ والحدودِ والأحكامِ.

ـ ذكر الإمام الرازي في "تفسيره" قائلاً: قال أصحاب الآثار: إنه لما نزلت هذه الآية على النبيّ ﷺ لم يعمر بعد نزولها إلا أحدا وثمانين يوماً. أو اثنين وثمانين يوماً، ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتة، وكان ذلك جارياً مجرى اخبار النبيّ ﷺ عن قرب وفاته، وذلك إخبار عن الغيب فيكون معجزاً، ومما يؤكد ذلك ما روي أنه ﷺ لما قرأ هذه الآية على الصحابة فرحوا جداً وأظهروا السرور العظيم، إلا أبا بكرٍ

(١) سورة المائدة.

ﷺ، فإنه بكى فسئل عنه فقال: هذه الآية تدل على قرب وفاة رسول الله ﷺ فإنه ليس بعد الكمال إلا الزوال[1].

وفي روايةٍ، ذكر العلامة ابن كثير في "تفسيره" عن الآية قائلاً: قال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً، رواهما ابن جرير عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر ﷺ فقال له النبيُّ ﷺ: ﴿ما يُبكيك؟﴾ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص فقال ﴿صدقت﴾[2].

(١) ((التفسير الكبير)): (١٣٩/١١).

(٢) ((تفسير القران العظيم)): لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، (١٩/٢).

وقبل وفاة رسول الله ﷺ "وجله موتى" بأيام قلائل نزل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾، قال حِبْرُ الأمةِ ابنُ عباس وغيره: إنها آخر آية نزلت؛ فهي للموعظة، والتهديد، والتنافس إلى منازل القرب والرضوان. كما في "التفاسير".

ـ لذا قيل في زمانه: بعد الكمال التقوى؛ فهذا حبيب ربّ العالمين، وخاتم النبيين والمرسلين ـ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم أجمعين ـ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان يتعبد حتى تَورمت قدماه، ولما سُئلَ عن ذلك قال ﷺ: ﴿أفلا أكون عبداً شكورا﴾[1].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب تفسير القرآن ـــ باب قوله تعالى: ((ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر))، و ((صحيح مسلم)): كتاب صفة القيامة والجنة والنار ـــ باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

فاعلم جيداً: كلما أزداد العبد علماً ومعرفةً أزداد في تقواهُ، ومراقبتهِ، وافتقارهِ لله ربّ العالمين؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[1]،أي: قدوة صالحة، أي: اقتدوا به اقتداءً حسناً؛ لأنه الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله؛ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: يرجو ثواب الله ﴿وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ يعني: ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء[2].

روى الإمام احمد عن السيدة عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: (مَا أَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) ((تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل)) المسمى بـ ((تفسير الخازن)): للعلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٤١هـ)، (٣/٤٦١) "مع بعض التصرف".

شَيْءٌ مِـنْ الـدُّنْيَا، وَلَـا أَعْجَبَـهُ أَحَـدٌ قَـطُّ إِلَّـا ذُو تُقًى)[1].

ـ وقال ـ عليه الصّلاة والسّـلام: ﴿اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ﴾[2]، رواه احمد والترمـذي؛ وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِـــدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[3]، وفيه الحث على الصدقة، وأنـه لا يمتنع منها لقلتها، وأن قليلـها سـببٌ للنجـاة مـن النار. ﴿فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ فيه أن الكلمة الطيبة سـببٌ

---

(١) ((مسند الإمام احمد)): أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت٢٤١هـ): كتاب باقي مسند الأنصار ــ باب حديث السيدة عائشة.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب مسند الأنصار ــ باب حديث أبي ذر الغفاري، ((سنن الترمـــذي)): لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في معاشرة الناس، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ــ باب صفة الجنة والنار، ((صحيح مسلم)): كتـــاب الزكاة ــ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة.

للنجاة من النار، وهي الكلمة التي فيها تطييب قلب إنسان إذا كانت مباحة أو طاعة[1].فتنبه لهذا.

واعلم أيها الأخ الكريم، والقارئ اللبيب: أن للتقوى؛ حقائقَ ومنازلَ وكمالاً وتقرباً إلى ذات الحق ـ جَلَّ جَلالُهُ وعَمَّ نَوالُهُ ولا إلهَ غَيرُهُ؛ لتكون بشرى الحِفظِ واللطفِ ـ لِنفسِكَ، وأهلِكَ، وذُريتِكَ مِنْ بَعْدِكَ؛ كما قالَ الحقُ ـ جلَّ في علاه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾[2]، وكما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3]، وفيه دلالةٌ: على أن تقوى الأصول تنفع الفروع؛ قال

---

(١) ((موسوعة فتح المُلهِم بشرح صحيح الإمام مسلم بن الحجّاج القُشيري)): للشيخ شبّير احمد العثماني (١٠٣/٦).

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة الكهف.

البغوي: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حُفِظا بصلاح أبيهما[1]؛ وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في "تفسيره": فيه دليلٌ على أن الرجل الصالح يُحْفَظُ في ذريتهِ، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم؛ كما جاء في القرآن، ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابنِ عباس: حُفِظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحاً؛ وتقدم أنه كان الأب السابع. فالله اعلم. انتهى[2].

وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في "تفسيره المأثور" عن قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ

(١) ((تفسير المظهري)): للقاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري النقشبندي (ت١١٢٥هـ)، (٥/٤١٠).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)): (٣/٩٩).

ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾[1]، قال مُجاهدٌ: ولولا دفع الله بالبار عن الفاجر ودفعه ببقية اخلاف الناس بعضهم عن بعض لفسدت الأرض بهلاك أهلها.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمؤمن الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء»، ثم قرأ ابن عمر: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾، وعن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل

(١) سورة البقرة.

دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم﴾[1]. فتنبه لهذا؛ رحمك الله تعالى.

ذكر القرطبي في "تذكرته" أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، أنه خرج إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور اخبرونا عنكم؛ أو نخبركم. أما خبر من قبلنا: فالمال قد أُقْتسم؛ والنسله قد تزوجنَّ؛ والمساكن قد سكنها قوم غيركم ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نرَ زاداً خيراً من التقوى.[2]

فالتقوى إذن، هي: أداءُ الأوامرِ، واجتنابُ النواهي، والإخلاصُ في العملِ.

---

(١) ((تفسير الإمام الطبري)): لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري: (ت٣١٠هـ)، (٦٣٩/٢)، ((تفسير ابن كثير)): (٤٠٦/١)، ((مصنف ابن أبي شيبة)): أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)، (٢١٠/٧) .

(٢) ((التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)): لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، (١٩/١ـ٢٠).

ـ أما ذكر الأوامر والنواهي: فلقوله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[1]، قال العلامة ابن كثير في "تفسيره"[2]: أي: اتقوه في امتثال أوامره، وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به)[3].

وقال طلق بن حبيب[4]: (التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله. وأن

---

(١) سورة الحشر.

(٢) (٣٣٧/٤).

(٣) ((تفسير القرآن العظيم)): (٦٥/١).

(٤) بصري زاهد كبير من العلماء العاملين، كان طيب الصوت بالقرآن، براً بوالديه؛ قال ابن الأعرابي: كان يقال: فقه الحسن، وورع ابن سيرين، وحلم مسلم بن يسار، وعبادة طلق؛=

تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله)[1]. تبارك ربّنا وتعالى وتقدس.

وبالتقوى تَتَحققُ الخيريةُ لهذه الأمة المرحومة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾[2]، وسبب الخيرية الدائمة لهذه الأمة هي: الأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمانُ بالله؛ أخرج ابنُ مردويه عن أبي جعفر محمد الباقر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخير إتباع القران وسنتي»[3]، وقال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ

=وكان طلق يتكلم على الناس ويعظ. مات طلق قبل المائة. ((سير أعلام النبلاء)): للذهبي (٤/٦٠١).

(١) ((تفسير ابن كثير)): (٣/٦١٤) و((مصنف ابن أبي شيبة)): (٧/١٨٢) و((حلية الأولياء)): للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن احمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، (٣/٦٤).

(٢) سورة آل عمران.

(٣) ((تفسير ابن كثير)): (١/٥١٥).

وَأَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ»، رواه الإمام احمد[1].

أما الإخلاصُ في العمل: فوجهه قوله تعالى:-

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[2]، والمعنى: فهم أهلُ العلم، والعملِ، والإخلاصِ، الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر ـ وذلك: علامةُ قبول التقوى المراد به وجهه عَزَّ وَجَلَّ؛ لقوله ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ۝١٢٥﴾[3]، أي: توجهه وعبادته لله وحده عَزَّ وَجَلَّ؛ مثالُهُ: أن يَقْصدَ

---

(١) قال نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ) في ((مجمع الزوائد)) (٥٢٠/٧): رواه أحمد وهذا لفظه والطبراني وزاد قالت: كنت عند عائشة فجيء برجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه ناداه وهو على المنبر فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قالت: فأتى الرجل فأخذ فقال: يا رسول الله ليس لي ذنب أمرني فلان. والباقي بنحوه. ورجالهما ثقات.

(٢) سورة البينة.

(٣) سورة النساء.

بصلاتهِ الامتثالَ لأمرِ الله ـ جلَّ وعلا ـ غير ملتفتٍ إلى أحدٍ إلا إلى الله وحده، لا ليُمدح أو ليُثنى عليه، فإن هذا الأمر لا ثواب له في عبادته، ويترتب عليه إثمٌ، فقد قالَ ـ سبحانهُ وتعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾[1]، ومن الإخلاص حضورُ القلب: أي: أن يخشعَ لله ولو لحظةً، فمن لم يَخْشَع لله لحظةً في صلاتهِ، فقد خرجَ منها بلا ثواب، وقد ترضّى الحق سبحانه وتعالى ـ عن أهل الخشية: بقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[2]، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ فقال: «سألتُ جبريل عن

---

(١) سورة المؤمنون.

(٢) سورة البينة.

الإخلاص ما هو؟ فقال: سألتُ ربَّ العزة عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سِرٌ من أسراري أودعتُهُ قلبَ مَنْ أحبُّه من عبادي»[1].

ـ أما العملُ دون وجود الإخلاص، فذلك يجعل العاملَ فيه على خَطرٍ في الهلاك والعذاب؛ كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾[2]، ومن ذلك عدم المبالاة في الصلاة ـ وذلك بتركها أو بتأخيرها عن أوقاتها، أو الإخلال بأركانها، بل هي المراءات بالأعمال طلباً للثناءِ والمِدْحة. والعياذ بالله تعالى.

---

(١) ((روح المعاني)): لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، (١/٣٩٩).

(٢) سورة الماعون.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾: هلاك للمصلين الذين هم عن صلاتهم غافلون، الذين يصلون صلاتهم بدون خشوع وخضوع، وبدون استحضار قلبي لعظمة الله، وبدون تدبر لمعاني ما يقرأون، صلاة لا يشعر صاحبها أنه بين يدي الخالق فتراه يسبح بفكره ويسرح طرفه ويتحرك ويعبث بأطرافه ولا يعرف عدد ما يصلي؛ تلك صلاة بعض الناس الذين يكذبون بيوم الدين وهي بلا شك لا تنهى عن الفحشاء والمنكر وقد سها أصحابها عن ذكر الله وهم لذلك يراءون الناس ويذكرونهم ويفعلون لهم ولا يفعلون لله وهم لشدة الشح وكثرة البخل يمنعون الماعون(١).

---

(١) ((التفسير الواضح)): للشيخ محمد محمود حجازي ـ من علماء الأزهر الشريف: (٨٤/٣٠).

ـ قال ترجمان القرآن: ابـن عبـاس ـ رضـي الله عنهما: هم المنافقون يتركون الصّلاةَ إذا غابوا عن الناس، ويُصلّون في العلانية إذا حضروا معهم.

قال الحسن ـ رضي الله عنه: وهو الـذي عليهـا إن صلاها رياء وإن فاتته لم يندم[١].

وقـال العلامـة النسـفي ـ رحمـه الله تعـالى: والمراءات مفاعلة مـن الإراءة لأن المرائـي يرائـي الناس عمله وهم يرونه الثنـاء عليـه والإِعجـاب به، ولا يكون الرجـل مرائيـاً بإِظهـار الفـرائض، فمن حقها الإعلان بها [٢].

---

(١) ((تفسير المظهري)): (١٠/٣٣٣).

(٢) ((تفسير النسفي)): لأبي حفص نجم الدين عمر بن احمـد بـن لقمـان (ت٥٣٧هـ)، (٤/٣٥٩).

قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى: (تركُ العمل لأجل الناس رياء، والعملُ لأجل الناس شرك، والإخلاصُ أن يعافيك الله منهما)[1]. فتنبه.

وقال الإمام المحاسِبي ـ رحمه الله تعالى:- والإخلاص لله ﷻ واجب لازم في جميع الأعمال، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾[3]، فكل من داخله في عمله إعجاب أو رياء، أو حب محمدة، أو كراهية مذمة في إسقاط المنزلة فليس بمخلص في عمله، لأن الله ﷻ لا يقبل إلا ما كان خالصاً،

---

(١) ((الأذكار)): محي الدّين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي (ت٦٧٦هـ)، (ص١٨).

(٢) سورة البينة.

(٣) سورة الكهف.

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ قَالَ اللَّهُ ﷻ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ﴾[1].

ـ ثم ضرب مثلاً على ذلك فقال: إن الشجرة إذا تبين عروقها انقطعت عن شربها، ولم تحسن فروعها، وجف ورقها، ولم تثمر، ولم ينتفع بها، وذهب قدر قيمتها، فإذا غاصت عروقها، وغابت عن الناظرين إليها، كثر شربها، وجرى ماؤها، وتزايدت عروقها، واخضر ورقها، وطاب ثمرها، وجناها صاحبها، وكثر قدر قيمتها. انتهى[2].

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين ــ باب مسند أبي هريرة، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد ــ باب الرياء والسمعة، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: ((وهو للذي أشرك)) قال أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨هـ) في ((شرح سنن ابن ماجه))(٢/٥٥٠): هو تأكيد للرد وإلا فهو عمل باطل من الأصول وفي الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال النووي: ومعناه أنا غنى عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير؛ والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به ((شرح صحيح مسلم)): (١٨/١١٥).

(٢) ((القصد والرجوع إلى الله)): للمحاسبي، (ص١٦٧).

اللَّهم؛ وفقنا للعلم والإخلاص، واجعلنا ممن يَخشاكَ، ويَتقيكَ حقَ تُقاتِكَ، يا مولانا يا الله. آمين، يا معين.

واعلم: أنَّ للتقوى منازلَ عند اللهِ ـ سبحانه وتعالى؛ قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨﴾ [1]، فتكررتْ كلمةُ التقوى في الآية مرتين وهي: من التقوى إلى منازِلها ومعارِجها؛ وقد ذُكر مصطلح التقوى في القرآن المجيد، بألفاظٍ ومعانٍ متعددة، منها: بمعنى التقوى فقط؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦﴾ [2]،

---

(١) سورة الحشر.

(٢) سورة الأعراف.

وهم الممتثلون لأمرِ اللهِ ﷻ المقيمون بما أمرهم به ـ جلَّ وعلا ـ الذين يرجون عفوه ورضوانه ـ سبحانه وتعالى. والفعل هنا؛ لصحة العمل ـ رجاء القبول والحسنات. فتنبه.

ـ ومنها: بمعنى تقوى القلوب لقوله ـ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾[1]، وهو الإخلاصُ لوجه الله تعالى؛ لأنه مركز التقوى وقبولها. وهذا القصد؛ لقبول العمل ـ رجاء الترقي والدرجات. فتنبه.

قال الإمام الجنيد بن محمد رضي الله عنه: من تعظيم شعائر الله التوكل والتفويض والتسليم ـ فإنها من شعائر الحق في أسرار أوليائه، فإذا عظّمه وعظّم حرمته ـ زَيَّنَ الله ظاهره بفنون الآداب.

---

(١) سورة الحج.

ـ ومنها: امتحانُ تقوى القلوب: كما قال الحق ـــ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1]، وهو الأدبُ والإخلاصُ، وهي أخلصها للتقوى، أي: جعلها خالصةً لها؛ فلم يبقَ لغير التقوى فيها حقٌّ، كأنَّ القلوب خَلَصت ملكاً للتقوى. والوضع هنا؛ للترقي ـ رجاء القرب والتجليات؛ وهذا لا يكون إلا لأهل السكينة والوقار، وهو قليلٌ؛ كما قال ـ جلَّ وعلا: ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴿٢٤﴾﴾[2]. انتبه إلى هذا، وفقك الله ورفعك.

قال الحسين رضي الله عنه: من امتحن الله قلبه بالتقوى: كان شعاره القرءان، ودثاره الإيمان، وسراجه

---

(١) سورة الحجرات.

(٢) سورة ص.

التفكر، وطيبه التقوى، وطهارته التوبة، ونظافته الحلال، وزينته الورع، وعلمه الآخرة، وشغله بالله، ومقامه مع الله، وصومه إلى الممات، وإفطاره من الجنّة، وجمعه الحسنات، وكنزه الإخلاص، وصمته المراقبات، ونظره المشاهدات.[1] انتهى.

ـ لذلك، قد انتهت الآية الشريفة وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[2]، بعظيم الفضل والجزاء والكرم وهو: المغفرةُ والأجرُ العظيم ـ من ذات الحقِ الجليلِ الجميلِ ـ جلَّ جلالُهُ وعمَّ نوالُهُ؛ وهذا لا يُنال إلا بمراتبَ عُليا في الدين الحنيف؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ

(١) ((تفسير روح البيان)): للشيخ إسماعيل حقّي البرُوسَوي (ت١١٣٧هـ)، (٦٦/٩-٦٧).
(٢) سورة الحجرات.

ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[1]، فبعد هذه المراتب العشر جاءتْ نهاية الآية بذكر المغفرة والأجر العظيم، كما انتهتْ آيةُ الأدبِ المتقدمة.

وجماع معاني التقوى قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2]، ومن معانيها، ما ذكره العلامة الطيبي: أن معنى الآية: أنه ليس المطلوب من المؤمنين الزهادة عن المستلذات وتحريم

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة المائدة.

الطيبات، وإنما المطلوب منهم الترقي في مدارج التقوى والإيمان، إلى مراتب الإخلاص، واليقين، ومعارج القدس، والكمال... الخ؛ لقوله ﷺ: ﴿لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا فِي إِضَاعَةِ الْمَالِ وَلَكِنْ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ﴾[1]، رواه الترمذي وابن ماجه.

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿مَنْ أحَبَّ أنْ يكونَ أكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ أحَبَّ أنْ يَكُونَ أقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أحَبَّ أنْ يَكُوْنَ أغْنَى النَّاس فَلْيَكُنْ وَاثِقاً بما في يَدِ اللهِ أوْثَقَ عَلَى مَا في يَدِهِ﴾، أخرجه الحاكم في "المستدرك"[2].

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد ــ باب ما جاب في الزهادة في الدنيا، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد ــ باب الزهد في الدنيا، ((تفسير روح المعاني)): (٣/٢٠).

(٢) ((المستدرك على الصحيحين)): لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، (٤/٣٠١).

أما كمالُ التقوى: فقد وضحها أميرُ المؤمنينَ عليُّ بن أبي طالبَ ﷺ، وكرمَ اللهُ وَجههُ ـ حين قال: هي: الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليوم الرحيلِ.

وقال أبو الدرداء ﷺ: تمام التقوى أن يتقي الله العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً فيكون حجاباً بينه وبين الحرام(١).

وقال جدنا الحسن بن علي ﷺ: أن لا تختار على الله سوى الله، وتعلم أن الأمور كلّها بيد الله.

قُلْتُ: وكمالُ التقوى: قصدٌ وتزكيةٌ، وصفاءٌ وإخلاصٌ، وطاعةٌ وخُشوعٌ، وإحسانٌ ويقينٌ، ومحبةٌ

(١) ((الورع)): لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٤٨/١)، ((الدر المنثور)): لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٦١/١).

ودعوةٌ ـ على طريق الهمة، والتحمل في سبيل الله تعالى.

ــ وإذا ما تحقق كمال التقوى: كان المالُ والأمانُ من الله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [1]، قال الإمام القُشَيري في "تفسيره": وَوجْهُ المِنَّةِ في الإطعام والأمان هو أن يتفرَّغوا إلى عبادة الله؛ فإنَّ مَنْ لم يكن مكْفِيَّ الأمور لا يتفرَّغ إلى الطاعة، ولا تساعده القوة ولا القلبُ ـ إلَّا عند السلامة بكلِّ وجهٍ، وقد قال تعالى:

---

(١) سورة قريش.

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ ﴿١٥٥﴾ ﴾[1] فقــــدَّم الخوف على جميع أنواع البلاء[2]. انتهى.

وتَحقيقُ مراتبِ كمـالِ التقـوى سـتةٌ: المرتبـةُ الأولى: النيـةُ وهـي: القصـدُ ـ ومحلـها القلـبُ، واعلم أن المرءَ يُصابُ بنيتهِ: كما قـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِـيبُهَا أَوْ امْـرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، متفق عليه[3].

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((تفسير الإمام القشيري)) المسمى ((لطائف الإشارات)): لأبي القاسم عبد الكريم هـوادن القشيري (ت٤٦٥هـ)، (٤/٣٤٠).

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ((صحيح مسلم)):كتاب الإمارة ــ باب إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغـزو وغيره.

ـ وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام؛ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: إنما يحفظ الرجل على قدر نيته[1].

فالنية شرطٌ لقبول العبادات، وعليها مدارُ الدينِ وأحكامهِ ـ في العباداتِ، وفي المعاملاتِ، في الحكوماتِ، في الواجباتِ، وفي المباحاتِ، لإخلاصِ العملِ بالدينِ ـ لوجهِ اللهِ ﷻ.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في "البستان": اعلم أنه لمن أراد شيئاً من الطاعات وان قل أن يُحضر النيةَ وهو أن يقصد بعمله رضا الله ﷻ وتكون نيته حالَ العمل.

ويدخل في هذا جميعُ العبادات من الصلاةِ، والصومِ، والوضوء، والتيمم، والاعتكاف، والحج،

(١) ((الأذكار)): للإمام النووي (ص٦).

والزكاة والصدقة، وقضاء الحوائج، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وابتداء السلام، وردِه، وتشميت العاطس، وإنكار المنكر، والامر بالمعروف، وإجابة الدعوة، وحضور مجالس العلم والأذكار، وزيارة الأخيار، والنفقةِ على الأهل والضيف، وإكرام أهل الود وذوي الأرحام، ومذاكرة العلم والمناظرة فيه، وتكراره وتدريسه وتعليمه ومطالعته وكتابته وتصنيفه والفتاوى، وكذلك ما أشبه هذه الأعمال.

حتى ينبغي له إذا أكل أو شرب أو نام يقصد بذلك التَقَوي على طاعة الله أو راحة البدن للتنشط للطاعة.

وكذلك إِذا أراد جماع زوجته يقصد إيصالها حقها وتحصلَ ولد صالح يعبد الله تعالى واعفافَ نفسه وصيانتها من التطلع الى حرام والفكر فيه.

فمن حُرِمَ النيةَ في هذه الأعمال فقد حُرِمَ خيراً عظيماً كثيراً ومن وُفِّقَ لها فقد أعطي فضلاً جسيما. لقوله ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى﴾[1]. اهـ.

ومحلُ النيـةِ: القلبُ وجوباً: كما ذكر فقهاءُ الإسلامِ ـ كالإمام النووي في "المجموع" وغيره، ولا تكفي باللسان، ولا يشترط التلفظ بها قطعاً، لكن يسن عند الجمهور، غير المالكية ـ التلفظُ بها لمساعدة القلب على استحضارها؛ ومن بدع الزمان أن تَنشَغل الأمةُ بتركِ الأصلِ وهو القلبُ،

(١) ((بستان العارفين)): (ص٥٧-٥٨).

وَتنشغلَ باللسان الذي هو فـرعٌ دالٌ علـى ذلـك الأصلِ؛ كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٥﴾[1]، والإخلاصُ من أعمـال القلوب: لما روى الإمام احمد وغيره، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُـولُ: «الْإِسْلَامُ عَلَانِيَـــةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ» قَالَ: ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَـى صَـدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ ثُمَّ يَقُـولُ: «التَّقْوَى هَا هُنَا التَّقْوَى هَا هُنَا»[2].

ـ فالتلفظُ بالنيةِ مع حضور القلب أتَـم لتنبيـه القلب، وخاصة للموسوس، ولـيس الـتلفظ بهـا بدعةً ـ فليس هناك دليـلٌ علـى النهـي لفاعِلـها،

---

(١) سورة البينة.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين ــ باب مسند انس بن مالك.قـــال الهيثمـــي في ((مجمع الزوائد)) (١/٢١٢): رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه والبزار باختصار؛ ورجاله رجـــال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة.

فيبقى الأمرُ على جوازه: لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[1]؛ فبهذه الآية جُعِلَ النبيّ ﷺ معرّضاً للبيان، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[2].

وعند علماءِ الأصولِ والبلاغةِ: "أنَّ السكوتَ في معرضِ البيانِ مفيدٌ للحصرِ"، ومعناه: أنه كما أنَّ الحكم المذكور نصٌ للمذكور كذلك عكس الحكم المذكور نصٌ للمسكوت عنه، ومن المعلوم: أنَّ النبيَّ مُحمّداًﷺ لم يأمر بترك النية باللسان، مع العلم أن النيةَ داخلةٌ في عظيم الأحكام بدين الله ﷻ؛ مع ذلك فقد ثبتَ: أنَّ النبيَّ ﷺ تلفظَ بالنيةِ

---

(١) سورة النحل.

(٢) سورة الحشر.

مسمعاً الناس في إحرامه بالحج قائلاً: ﴿لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا﴾، رواه مسلم[1]، ومنها، أنه ﷺ دخل ذات يومٍ على السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال وهو يريد أن يأكل طعاماً: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ﴾ فقالت: لا، فقال: ﴿فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ﴾، رواه مسلم[2].

ومن الناس من لا يستطيع أن يُحضِر قلبه ويَستَحْضِرَ النيةَ في الأعمالِ ـ كالعامي البسيط، لضعف مداركه، فعسى أن تكفيه بلسانه، مع قصده البسيط أنه متوجه بصلاته لله تعالى: كما قال ـ جلَّ ذكره: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾[3]، والمعنى: ابذلوا في تقواه ﷻ جهدكم وطاقتكم؛ وقيل: اتقوا الله حق تُقاته ما استطعتم.

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الحج ــ باب إهلال النبيّ صلى الله عليه وسلم وهديه.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام ــ باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال.

(٣) سورة التغابن.

أما أحكامُ النيةِ فهي مسطورةٌ في كتب الفقه الإسلامي ـ لمن أراد أن يستفيد؛ ومن المناسب أن نذكر القليل منها، والمتعلقة بأحكام الصلاة لأهميتها، فقد قال أهلُ العلم ﷺ: أنَّ النّيةَ هي رُكنٌ من أركانِ الصلاةِ وهي عملٌ قلبيٌّ فالنطقُ بها باللسان ليس بفرض، فلو تركَ قول نويتُ أن اصلّيَ الظهرَ أو العصرَ مثلاً واستقبلَ القِبلةَ وكبّر ونوى في التكبيرِ هذه النّيةَ صحَّت صلاتُهُ، وأمّا إذا نوى بالقلبِ قبل التّكبيرِ ولم تحضرهُ النيَّةُ في التكبيرِ لم تصح صلاتُه عند الإمامِ الشافعي، وكذلك لا تصحُّ إن نوى باللسانِ قبل التكبير وغفل عنها في قلبهِ معه.

ـ فالأمرُ الضروريُّ في النّيةِ هو أن يقصِدَ فعلَ الصلاةِ في التكبيرِ؛ ويجبُ مع ذلك أن يُعيّنَ

الصلاةَ التي لها سببٌ كالعيد والخسوفِ والصـلاةَ التي لهـا وقـتٌ كالضُّـحى، وان يَنـويَ إن كانـت الصلاةُ مفروضـةً أنهـا فـرضٌ، كـلُّ ذلـك يجـب تحصيله مع التّكـبير أي ضـمنه في مـذهب الإمـام الشـافعيّ ﷺ، يقـول بقلبـه مـثلاً أصـلي فـرض الظهر أو أصلي فرض العصر أو أصلي الضحى أو أصلي الوتر ويكون هـذا مـع التكـبير. وقـال بعضُ الشافعيةِ: أنَّ نيةَ الفرضيةِ غير لازمةٍ فتصحُّ الصلاة بدونها على هذا الوجه فيكفـي أن ينـوي أن يصلي الظهر أو العصر أو المغـرب أو صـلاةَ كذا من المفروضات مـن دون أن ينـوي الفرضـية بقلبه.

ولا يجب عند الإمامين أبي حنيفة ومالكٍ أن تكون النيّةُ مقترنةً بالتّكبيرِ فلو نوى الصلاةَ التي يصلّيها قبل التكبير بقليلٍ صحَّتِ الصلاةُ عندهما.

اللَّهم ارزقنا الإتباع، ونعوذُ بكَ من الهوى والغفلة والإبتداع، ونسألُكَ اللّهم حُسنَ القَصدِ إليكَ، وحُسنَ الخَواتِم، وَحُسنَ اللقاءِ يَوْمَ العَرضِ عَلَيْكَ. آمين، آمين. يا معينُ يا الله.

والمرتبةُ الثانية، من مراتب التقوى: تزكيةُ النفس: كما قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[1]، هذا جواب القسم، ومعنى: ﴿زَكَّىٰهَا﴾ طهّرها وأصلحها وجعلها زاكية، ومعنى: ﴿دَسَّىٰهَا﴾ نقصها وأخفاها

---

(١) سورة الشمس.

بالفجور، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾: يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه أي: بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير. أقول: وهو المعنى الذي لا يحتمل غيره وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾: أي: دسّسها أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله ﷻ.

أقول: إن ربط الفلاح بالتزكية، والخسران بالتدسية قضية أخروية دنيوية فلا فلاح في دنيا وأخرى إلا بتزكية النفس، ولا خسران في الدنيا والأخرى أفظع من تدسيتها، واستعمال لفظ التزكية والتدسية يشير إلى أن التزكية تنمية

للنفس، بينما التدسية إخفاء لها وكبت فلا تنمو النفس البشرية إلا بالإسلام، ومتى ترك الإنسان الإِسلام فإنه يخسر نفسه ويخنقها في أطر من الحيوانية الرخيصة. انتهى[1].

وقال ـ جلَّ ذِكره: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾[2]، قال العلاّمة ابن حجر الهيتمي[3] في التحفة ما نصه: ((ويجبُ عَلينا تزكية النفسِ عن الأخلاق الرديئة))؛ فتهذيبُ الأخلاق هو: من الفضائل المرضية عند الله ﷻ؛ لذا مدح الحق سبحانه وتعالى نبيّه ومصطفاه ﷺ بقوله ـ جلَّ

---

(١) ((الأساس في التفسير)): للشيخ سعيد حوى ــ رحمه الله تعالى: (١١/٦٥٤٤).

(٢) سورة الأعلى.

(٣) العلاّمة احمد بن محمد بن عليّ بن حجر الهيتمي الشافعي؛ مولده في أواخر سنة (٩٠٩هـ) في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته وتوفى سنة (٩٧٤هـ) ودفن بمكة المشرفة بالمعلاة ــ رحمه الله تعالى.

ثنـــاؤه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [1]، والمعنـــى: لمــا كانت أخلاق رسول الله ﷺ كاملة حميـدة وأفعالـه المرضية الجميلـة وافـرة وصـفها الله تعـالى بأنهـا عظيمة. وحقيقة الخُلُق: قوى نفسانية؛ يسهل على المتصف بها الاتيـان بالأفعـال الحميـدة، والآداب المرضية فيصير ذلك كالخِلْقَة في صـاحبه، ويـدخل في حُسـن الخُلُـق التحـرز مـن الشـح والبخـل والتشـديد في المعـاملات، ويسـتعمل في حسـن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة بـالمعروف مـع الأقـارب والأجانب، والتساهل في جميع الأمـور والتسـامح بما يلزم مـن الحقـوق، وتـرك التقـاطع والتهـاجر واحتمال الأذى من الأعلـى والأدنـى مـع طلاقـة

---

(١) سورة القلم.

الوجه وإدامة البشر؛ فهـذه الخصـال تجمـع جميـع محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال؛ ولقد كان جميـع ذلـك في رسـول الله ﷺ ولهـذا وصـفه الله تعـالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، وسئلت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عـن خُلُـقِ رسـول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقهُ القرآن»[1].

فقد جمع العلاّمة علاء الدين علي البغـدادي ـ رحمه الله تعالى ـ حسن الخلق وسـيئه معـاً بقولـه: (حقيقة الخلق: قوى نفسانية) كما في صفحة/ ٤٧.

وقسم شيخنا العلاّمة الدكتور عبد الله الهرشمي ـ طيب الله روحه وذكره وثـراه، الأمـر إلى: (هيئـة روحانية في قلب الإنسان تنبعث منها الحسنات).

(١) ((تفسير الخازن)): (٤/ ٢٩٤).

وإلى: (هيئة نفسانية باطنة تتولد منها السيئات الرئيسية). فقال ﷺ: المنبع الرئيس هو مجافاة الكتاب والسنة: فمنها يتولد سوء الخلق. وسوء الخلق هيئة نفسانية باطنة تتولد منها السيئات الرئيسية التالية: النفاق، الرياء، الكذب، الطمع، الحسد، العجب (ومنه الكبر)، الغفلة. ومن كل مأثمة من هذه المآثم الباطنة آثار مادية وأعمال جوارح فيها هلاك الإِنسان الفرد وخراب المجتمع. فكم من قتل أفضى إليه طمع، وكم من غيبة أدّى إليها حسد! وكم من مجتمع أفسد أحوالها النفاق والرياء والكبر! وإذا أحببت الوقوف على تفصيلات هذه العلل ومداخلها ومخارجها وطرق

علاجها فعليك "بربع المهلكات" من "إحياء علوم الدين"[1].

والمنبع الرئيس لكل الباقيات الصالحات هو الاعتصام بالكتاب والسنة: فمنه يتولد حسن الخلق. وحسن الخلق هيئة روحانية في قلب الإنسان تنبعث منها الحسنات التالية: الصبر، الشكر، التوكل، الحب، الذكر، الخوف، الرجاء. وكل هذه الحسنات الخوالد ثابتة بنصوص مبينات من القرآن المجيد والحديث الشريف. فمن أراد فليقرأ كتاب الله جل شأنه، ويبحث عن تلكم الأبواب في مجامع السنن، أو ليرجع إلى "ربع المنجيات" من "إحياء علوم الدين"[2].

---

(١) للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ).

(٢) ((معالم الطريق في عمل الرّوح الإسلامي)): للدكتور عبد الله مصطفى (ص٢٤٥ـ٢٤٦).

وقال العلامة الميرغني في تفسيره "تاج التفاسير": ﴿وَإِنَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ أوهبناك إياه ﴿عَظِيمٍ﴾ لتعظيمنا له حيث جمعنا فيك جميع المكارم وحليناك بأخلاقنا، وفي خُلقه قالت عائشة ـ رضي الله عنها: «كان خُلقه القرآن». انتهى[1].

قال ابن الأثير: أي متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف[2].

وكما قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[3]، قال جعفر

(١) ((تاج التفاسير)): للسيد محمد عثمان بن أبي بكر بن عبد الله الميرغني (ت١٢٦٨هـ)، (ص٢٢٠).

(٢) ((النهاية في غريب الحديث والأثر)): لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بـ " ابن الأثير " (ت٦٠٦هـ)، (٢/١٤٤).

(٣) سورة الأعراف.

الصادق ﷺ: ليس في القرآن أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية؛ روي أنَّ النَّبيّ لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها؟! فقال له: حتى أسال العالم بها، ثم ذهب وأتاه، فقال: يا محمد؛ إنَّ الله يأمرك أن تصل مَنْ قطعك، وتعطيَ مَنْ حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك[1]. انتهى؛ وقد خَصّه الخلاق ـ جلَّ في علاه، بأعظم مكارم الأخلاق، بل أصلحها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴿١٥٩﴾ ﴾[2]، أمرُكَ عجيبٌ يا رسول الله ﷺ، فقد ألنت جانبك لهم،

(١) قال السيوطي: رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ؛ في "تفاسيرهم"، وابن أبي الدنيا في "مكارم الأخلاق"، ووصله ابن مردويه من حديث جابر ـ رضي الله تعالى عنه، وعزاه الشيخ قاسم الحنفي للبخاري؛ عن عبد الله بن الزبير في قوله: ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)) أنه قال: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس. وله في رواية أخرى تعليقاً؛ عن عبد الله قال: أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس، أو من أخلاق الناس.

(٢) سورة آل عمران.

وعاملتهم بألطف المعاملات، وخالقتهم بمكارم الأخلاق العليات التي حلاّك بها الخلاق ـ جلَّ وعلا ـ فأصلحت مكارم الأخلاق.

ـ وأما الأحاديث الشريفة عن مكارم الأخلاق فهي غفيرة وجمة:- منها حديث: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ﴾ رواه البخاري والبيهقي واحمد وغيرهم[1]، وأخرجه البزار بلفظ: ﴿مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ﴾[2].

ومنها حديث: ﴿اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي﴾[3].

(١) رواه البخاري في ((تاريخه)): (١٨٨/٧)، والحاكم والبيهقي في ((شعب الإيمان)): (٢٣٠/٦)، واحمد عن أبي هريرة: كتاب باقي مسند المكثرين ـ باب باقي المسند السابق، قال في ((مجمع الزوائد)) (٣٤٣/٨): رواه احمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال في ((مجمع الزوائد)) (٥٧٣/٨): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن رزق الله الكلوذاني وهو ثقة.

(٣) ((مسند احمد)): كتاب مسند المكثرين من الصحابة ـ باب مسند عبد الله بن مسعود، قال في ((مجمع الزوائد)) (٤٥/٨): رواه احمد ورجاله رجال الصحيح. وهو سنة عندما تنظر في=

ومنها حـديث: ﴿إنّي رأَيتُ البَارِحةَ عجباً ورأيتُ رجلاً من أمتّي جاثِياً على ركبتـه وبينـهُ وبـينَ اللهِ حجابٌ فجاءَه حُسْنُ خُلقه فأخذ بيده فأدخَلهُ علـى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾[1].

ـ قال المنّاوي ـ رحمه الله تعالى ـ معلقاً على هذا الحديث: وذلك لأنّ الأخلاق مخزونـة عنـد الله في الخزائن، فإذا أحب الله عبـداً مَنَحَـهُ خُلقـاً منهـا، ليدر عليه ذلك الخلق كـرائم الأفعـال، ومحاسـن الأمور، فيظهر ذلك على جوارحـه ليـزداد العبـد

= المرآة؛ قال النووي في ((الأذكار)) (ص٦٩٧): روينا في كتاب ابن السني عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر في المرآة قال: الحمـد لله اللّهـم كمـا حسّنت خَلْقي فحسِّن خُلُقي.

(١) رواه الحكيم الترمذي، والطبراني، والديلمي، والحافظ أبو موسى المديني، ورواه الخرائطي ــ في مكارم الأخلاق من حديث عبد الرحمن بن سمرة. قال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت٧٥١هـ) في ((الوابل الصيب)) (ص١١١): رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب "الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية" وبنى كتابه عليـه وجعلـه شرحاً له وقال: هذا حديث حسن جدا: رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر وعلي بن زيد بن جدعان وهلال أبو جبلة.

بذلك محبةً توصله إليه في الدنيا قلباً وفي الآخـرة بدناً، وإذا أحب الله عبداً أهـبط إليـه خُلقـاً مـن أخلاقه، وإذا رحمه أذن له في عمل من أعمال الـبرّ ـ فهذه ثمرة الرحمة، وتلك ثمرة المحبة. انتهى[1].

ومنهـا: مـا في "مسـلم"؛ عـن علـي كـرم الله وجهه في "دعـاء الافتتـاح": ﴿وَاهْـدِنِي لِأَحْسَـنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ﴾[2].

ومنها حديث: ﴿حُسْنُ الْخُلُقِ نِصْفُ الدِّينِ﴾[3].

---

(١) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)): لعبد الرؤوف المناوي (٢١/٣).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٣) رواه الديلمي عن انس. قال المناوي في ((فيض القدير))(٣٨٤/٣): لأن حسنه يـؤدي إلى صفاء القلب، ونزاهته، وإذا صفا وطهر عظم النور وانشرح الصدر؛ فكان الباعث الأعظـم على إدراك أسرار أحكام الدين فهو نصف بهذا الاعتبار.

ومنها حديث: ﴿إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا﴾ رواه البخاري[1]. وفي الصحيحين بلفظ: ﴿إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا﴾[2].

ومنها: ما أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ﴾[3]. وله: عن جابر رضي الله عنه أن رسول

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب المناقب ــ باب مناقب عبد الله بن مسعود.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب المناقب ــ باب صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم، ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل ــ باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في حسن الخلق؛ وقال: حديث حسن صحيح. ومعنى (الفاحش): الذي يتكلم بما يكره سماعه أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي و(البذيء) قال المنذري في "الترغيب"(٣/٤٠٣): البذي بالذال المعجمة ممدودا هو المتكلم بالفحش، ورديء الكلام؛ وقال في النهاية: البذاء بالمد الفحش في القول، بذا يبذو وأبذى يبذي فهو بذي اللسان. وقد يقال بالهمز وليس بالكثير. انتهى. قال القاري: ومن المقرر أن كل ما يكون مبغوضاً لله ليس له وزن وقدر، كما أن كل ما يكون محبوبا له يكون عنده عظيماً.

الله ﷺ قال: ﴿إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسنَكُمْ أَخْلَاقًا﴾ [1].

ومنها حديث: ﴿إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُـؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفَهُمْ [2] بِأَهْلِهِ﴾، رواه الترمذي [3].

ـ وعن أبي هريرة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: ﴿تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ﴾ [4]. اللّهم؛ أكرمنا بالطاعة والأدب، آمين.

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في معالي الأخلاق. وفي ((صحيح الترغيب والترهيب)) للألباني: عن عبد الله بن عمرو ــ رضي الله عنهما أنه سمع صلى الله عليه وسلم يقول: ((ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة فأعادها مرتين أو ثلاثاً قالوا: نعم يا رسول الله قال: ((أحسنكم خلقاً)) رواه احمد وابن حبان في "صحيحه".

(٢) أرأفهم.

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان ــ باب ما جاء استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، وقال: حديث صحيح، قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤٠٣/٣): رواه الترمذي والحاكم؛ وقال: صحيح على شرطهما، كذا قال، وقال الترمذي: حديث حسن، ولا نعرف لأبي قلابة سماعا من عائشة.

(٤) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في حسن الخلق، وقال: "حديث حسن صحيح غريب"، قال المنذري في "الترغيب"(٤٠٣/٣): رواه الترمذي وابن حبان في "صحيحه" والبيهقي في "الزهد" وغيره.

ومنها حـديث: ﴿إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ﴾ (١). اللّهم؛ ارزقنا حلمك وعلمك وقربك، آمين آمين. يا اللهُ يا ربَّ العالمين.

والمرتبة الثالثة ـ من مراتب التقوى: التخليةُ من المآثم الظاهريةِ والباطنيةِ: كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ (١٢٠)﴾ (٢)،

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في معالي الأخلاق، قال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ــ ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد وهذا أصح. والثرثار: هو الكثير الكلام تكلفاً، والمتشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم؛ هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قال الألباني: صحيح: أنظر ((صحيح الترمذي)) رقم:١٦٤٢.

(٢) سورة الأنعام.

وفعل الأمر: ﴿ذَرُواْ﴾ هنا للوجوب ـ أي: اتركوا المعاصي ما ظهر منها وما بطن، فالواجب علينا بدين الله ﷻ أن ننزه أنفسنا من الرذائل النفسانية الظاهرية والباطنية؛ فهما الدمار الأكبر لحياة قلوبنا وأمتنا. فتنبه.

ـ أما المآثم الظاهرية فهي: الإشراكُ بالله تعالى، والسحر، والقتل، والربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، والقذف، وعقوق الوالدين، والكذب، والزنا، وشرب الخمر، وقول الزور، والسرقة، والغيبة، والنميمة، واتخاذ الأخدان، وغيرها.

- وأما المآثم الباطنية، التي هي أشد إثماً من المآثم الظاهرية؛ ولذلك لأن من ضروب البلاغة:

((التعدي من الأدنى إلى الأعلى))، فعلى ذلك يكون باطن الإثم أشدُ إثماً من ظاهره.

ـ ومن هذه المآثم الباطنية: الحقد، والحسد، والضغائن، والطمع، والكبر، والرياء، والنفاق، وحب الدنيا، والعقائد الفاسدة، والعزائم الباطلة، والعُجب بالنفس ـ الذي هو من أخبث الخبائث، وبه لعن إبليس اللعين؛ لقوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ٧٦﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مهلكات: شحٌ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وثلاثٌ منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضا»[2].

---

(١) سورة ص.

(٢) ((مسند الشهاب)): (١/٢١٤). قال الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٣٠٣٩ في "صحيح الجامع".

قال القرطبي: وإعجاب المرء بنفسه هو ملاحظة لها بعين الكمال مع النسيان لنعمة الله والإعجاب وجدان شيء حسنا؛ قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۝٧٨﴾[1]، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ ۝٨١﴾[2]، فثمرة العجب الهلاك.

قال الغزالي: أحذرك ثلاثاً من خبائث القلب، هي الغالبة على متفقهة العصر، وهي مهلكات، وأمّهات لجملة من الخبائث سواها: الحسد، والرياء، والعجب فاجتهد في تطهير قلبك منها، فإن عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز.

وقال رضي الله عنه: وأما العجب فهو الداء العضال وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام،

---

(١) سورة القصص.

(٢) سورة القصص.

ونظره لغيره بعين الاحتقار، وثمرته أنه يقول: أنا وأنا، كما قال إبليس، ونتيجته في المجالس التقدم والترفع وطلب التصدر، وفي المحاورة الاستنكاف من أن يرد كلامه، وذلك مهلك للنفس في الدنيا والآخرة. قال عيسى ـ عليه السلام: ((يا معشر الحواريين كم سراج قد أطفأته الريح، وكم من عابد أفسده العجب))[1]. اللّهم؛ نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، ونسألك الهُدى والتُقى والعَفاف والغنى.

ـ واعلم جيداً: أنَّ النفسَ هي من: أعدى الأعداء، فوجب الانتباه إلى مخاطِرها وخفاياها، ولزم المسلم كبح جماحها وعدم الانصياع لها؛ وفي

---

(١) ((فيض القدير)): (٣/٣٠٧).

الخبر: ﴿أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ﴾[1]. ولله در القائل:-

تعرف النفس لا تأمن غوائلها فالنفسُ أخبث من سبعين شيطانا

ـ فمجاهدتك لنفسك يُعد الجهاد الأكبر؛ لذا فقد بشر الله تعالى ـ الذين ينهون نفوسهم عن إتباع الهوى ـ بالجنّة؛ فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[2]، قال العلامة محمود الآلوسي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تفسيره": ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى. ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي زجرها وكفها عن الهوى المردي وهو الميل إلى الشهوات

---

(١) ذكره المناوي في ((كنوز الحقائق))؛ معزوًّا للبيهقي ـــ يعني في "الزّهد" بإسناد ضعيف؛ كما قاله العجلوني في ((كشف الخفاء))(١٥٩/١) قال:وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) سورة النازعات.

وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخيرات ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً بوخامة عاقبتها؛ وعن ابن عباس ومقاتل: أنه الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يدي ربّه سبحانه فيخاف فيتركها.

وقال الفضيل: أفضل الأعمال مخالفة الهوى[1].

ولتهذيب النفسِ، وتَرويضها ـ بتوفيق الله تعالى ولُطفه ـ جلَّ وعلا، منازلٌ في التزكيةِ والتربيةِ؛ فعليك يا أخي الأعز، أولاً: أنْ لا توافقها في أي أمرٍ ظاهراً كان أو باطناً مخالفاً للشريعة الغراء.

ثانياً: أن لا تَنْشغِلَ بخِواطرها ـ لأن اللصَ لا يَدخُلُ بيتاً فارغاً؛ ولقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ

(١) ((روح المعاني)): (١٠/٤٦).

أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَــلْ أَوْ تَــتَكَلَّمْ﴾، رواه الإمام البخاري[١]؛ وفي رواية الإمام احمد؛ قال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَــاوَزَ لِأُمَّتِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ﴾[٢]؛ بل قال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَــهُ سَــيِّئَةً وَاحِدَةً﴾، رواه البخاري ومسلم واحمد وغيرهم[٣].

ثالثاً: وكن غيرَ راضٍ عن خَواطِرها السيئة، وَاحْرص على أن تَضْحَكَ على تلك الخواطر؛

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب العتق ــ باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوها؛ وفي كتاب الطلاق ــ باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين ــ باب باقي المسند السابق.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ــ باب من هم بحسنة أو بسيئة، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب، ((مسند احمد)): كتاب من مسند بني هاشم ــ باب بداية مسند عبد الله بن العباس، ((سنن الدارمي)): كتاب الرقاق ــ باب من همَّ بحسنة.

لأنك إذا صغرت قيمته عندك، وهان كيده عليك، وإذا تم علمك بمضره وما يُلقي إليك من تلك الوسوسة أو الخواطر، مع معرفتك بقوته عليكَ، وضعفك عنه، فحينئذ أُعطيت القدرة على رّد كيده، ولم يعط القوة على أن يُكرِهك على ما يُريد منك، بإذن الله تعالى. كل هذا حتى لا تُشْغلَ بوسواسها عن تهذيبها، وتزكيتها، وتعيق ترقيك إلى الله ﷻ؛ فانتبه أيها القارئ العزيز اللبيب، واحفظ هذا بقوةٍ؛ فبذلك فلاحك بأذن الله تعالى؛ وإذا رأيت بعد ذلك التهذيب تكاسلاً عن الطاعة، أو ميلاً إلى المعصية فاعلم بأن الله يسمعك ويَراك، ويَعلم سِركَ ونَجواكَ: قال ـ

جـــلَّ ثنـــاؤه: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾[1].

ثم تذكر أن لك ملكين كـريمين يكتبـان لـك حسناتك وسيئاتك: كما قال الله تعـالى: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾[2]؛ ثم انهض بهمةٍ تُفتح لك الأبواب بإذن الله تعـالى كمـا قـال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[3]، والمعنى: سيمُدّك ﷻ؛ بالنصر والمعونة والتوفيق.

واعلم: أن الموت غيبٌ ينتظـر أمـر الله عليـك بأي لحظةٍ، ثم تنتقل إلى الخلود الأبدي، فما أنـت صـانعٌ؟ والله ـ تعـالى، يقـول: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة العنكبوت.

﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾[1]، وقـال ـ جلَّ شـأنه: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ٣٤﴾[2]، وقال ـ جلَّتْ عظَمَتُهُ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾[3].

واعلم: أن التقيَّ في جنّاتٍ ونهـر، وإن المُقَصِّـرَ والمُجْرم في عذابٍ وسُعر: كما قال ـ جَلّتْ قُدرَتُهُ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾[4].

فعليـك أيهـا الأعـز الصـالح: أن تكـبح جمـاح نفسِـكَ الأمـارة بالسـوء، وان تكسّـر سـيوفها ورماحها وتصدَّ عـن الجـوارح والفكـر والقلـب

---

(١) سورة الرحمن.

(٢) سورة لقمان.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) سورة الانفطار.

رياحها، وتقهر حتى ينقطع خـداعها وجراحهـا، وتطوّع كيما يستوي مسارها وغـدوها ورواحهـا، ثـم يهـدي إليهـا اسـتقرارها وأمانهـا وفلاحهـا وعندئذ فهي النفس المزكاة مريدة القلب في أمـره والإِشارات[1]. ولله در القائل:[2]-

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلى حُبِّ الرِّضَاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فَلا تَرُمْ بِالْمَعاصي كَسْرَ شَهْوَتِها إِنَّ الطَّعامَ يُقَوّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

واعلـم جيـداً: والله؛ إنَّ الـنفسَ والشـيطانَ يسوقانك الى اصغر، واحقر، واقذر ما في الوجود؛ كمـا قـال عَجَّلَ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴿٥٣﴾﴾[3]، وقال ـ جلَّ شـأنه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم

---

(١) ((معالم الطريق)): (ص٢٨٦).

(٢) من قصيدة "البردة": للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدولاصي ثم البويصيري (ت٦٩٤هـ).

(٣) سورة يوسف.

بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴿٢٦٨﴾ ﴾[1]، وقـال ـ جـلَّ ذِكـره: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[2].

قال الإمام البويصيري ـ رحمه الله تعالى:–

وَخالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطانَ وَاْعصِهِما　　وَإِنْ هُما مَحَضاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

وَلا تُطِعْ مِنْهُما خَصْماً وَلا حَكَماً　　فَأَنْتَ تَعرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ

ذكر الشيخ زاده ـ رحمه الله تعالى ـ معلقاً على هذا قائلاً: المخالفة أعم من العصيان مطلقاً؛ لأن العصيان ترك امتثال الأمر أو النهي، والمخالفة ترك الموافقة، فكل عصيان مخالفة ولا ينعكس..؛ لأن النصيحة الصافية منهما مما يندر؛ أما من الشيطان فلأنه عدونا وعدو أبينا آدم ـ عليه

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة .

السلام ـ وأمرنا باتخاذه عدواً كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴿٦﴾ ﴾[1].

وقد استنظر من الله تعالى ـ لإغوائنا والإلقاء في أمنيتنا ولا يفارق عنا إلى حلول حكم منيتنا؛ ولقد أكد بالقسم ما يريد بنا من سوء؛ في قوله: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ ﴿١١٩﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3]. وهو قد طُرد من الجناب الأقدم بواسطة أبينا آدم؛ ومثل هذا العدو لا يكون نصيحاً شفيقاً مصافياً ولا صديقاً صادقاً عن المين متجافيا، وما نجا آدم مع كمال صفوته، وعلو درجته، واستحقاق خلافته، وتقرر نبوته من شر مكايد هذا اللعين؛ فكيف أنت يا مسكين

(١) سورة فاطر.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة ص.

فربما يدعوك إلى الطاعات، ويحرضك على العبادات ويزين عبادتك في عينك حتى تجعلها لك معبوداً ويصيرك عن حضرة الحق الحقيق بالعبودية له مردودا حتى تكون ممن قيل فيهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ٢٣﴾[1] واعرض عن الله، وعبد سواه؛ هذا حالك مع عدوك المظهر لعداوته، المريد بك بغياً وطغيانا، والحاضر عندك حينا، والغائب عنك أحيانا؛ فكيف يكون حالك مع أعدى عدوك الذي بين جنبيك وهو اقرب منك إليك؟!؛ فلا تعتمد على نصائحه لئلا يوقعك في عار فضائحه ـ لأن الفوز في مخالفة

---

(١) سورة الجاثية.

النفس، ومجانبة هواها، والعصيان في احكامها عليك،لأن السلامة في مخالفة أهواء النفوس الخ[1].

والله - جَلّتْ عَظمتُهُ وقدرتُهُ؛ يسوقك إلى أعظم، وأعز، وأكمل ما في الوجود؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾[2]، وقال - جلَّ ثناؤه: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[3]، وقال - جلَّ جلالُهُ وعَمَّ نوالُهُ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

(١) ((شرح قصيدة البردة)): للشيخ محيي الدين محمد بن مصطفى المعروف "بشيخ زاده" ـــ رحمه الله تعالى. "بتصرف" وله حاشية كبيرة على "تفسير البيضاوي".

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة البقرة..

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[1].

اللَّهم؛ آتِ نفوسَنا تقواها، وزكها أنتَ، أنتَ خيرُ من زكاها، أنتَ وليها ومولاها، آمين، آمين يا مولانا يا ربَّ العالمين، ويا معينُ يا الله.

ـ لذلك علينا بالتوبةِ، وتجديدِ العهدِ مع الله ﷻ ظاهراً وباطناً؛ لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾[2]، فإن سعادة الدارين بالتوبة إلى الله ﷻ؛ قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»[3]، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة النور.

(٣) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الأدب ــ باب الاستغفار، وأبو نعيم في "الحلية" عن عائشة، واحمد في الزهد عن أبي الدرداء مرفوعاً؛ قال النووي: سنده جيد؛ انظر ((كشف الخفاء)): (٣/٦١٨).

سمع رسول الله ﷺ يقـول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ﴾ [1]، وقـال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُ لَيُغَانُ [2] عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ﴾ [3].

عسى الله أن يُعافينا بعد ذلك، لنُعـالج إخواننـا بما عالجَنا به ربُّنا ـ جلَّ مَجْـدُهُ ـ القائـل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [4].

ـ ولتمام الفائـدة ولمزيـد مـن الاتعـاظ والعِـبر نسوق قِصةَ عبدٍ من عبادِ اللهِ تعالى، وقـع لـه مـن الكرم الإلهي بعد توبته، بمـا وقـع في خـاطر سـرهِ

(١) ((مسند احمد)): كتاب مسند الشاميين ــ باب حديث الأغر المزني.

(٢) فهو: غين الأنوار وليس غين الأغيار. والله اعلم.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه؛ قال العجلوني في ((كشف الخفاء)) (٢٥١/١): رواه مسلم واحمد وأبو داود والنسائي عن الأوزاعي.

(٤) سورة الرحمن..

بينه وبين ربّه ﷻ: يُروى أنه كان في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ شابٌ متعبدٌ قد لزمَ المسجدَ وكان عمرُ معجباً بهِ وكانَ لهُ أبٌ شيخٌ كبيرٌ، فكانَ إذا صلى العَتمةَ انصرفَ إلى أبيهِ، وكانَ طريقُهُ على بابِ امرأةٍ فافتتنَتْ بهِ فكانت تَنصِبُ نفسها له على طريقهِ، فمر بها ذاتَ ليلةٍ، فما زالت تُغويهِ حتى تَبِعها فلما أتى البابَ دخلت وذهبَ يدخلُ، فتذكرَ قول اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾[1]، فوقعَ على الأرض مغشياً عليهِ، فدعتِ المرأةُ جاريةً لها فتعاونَتا عليهِ فَحمَلتاهُ إلى بابهِ، فخرجَ أبوهُ الشيخُ يطلبهُ فإذا بهِ على البابِ مغشياً عليهِ، فدعا بعضَ أهلهِ فحملوهُ

---

(١) سورة الأعراف.

فأدخلوهُ، فما أفاقَ حتى ذهبَ من الليلِ ما شاءَ الله، فقالَ له أبوهُ: ما لَكَ؟ قالَ خيرٌ، قالَ فإني أسألُكَ، فَأخْبَرهُ بالأمرِ، قالَ: أي بنيَّ وأيَّ آيةٍ قرأتَ؟ فقرأ الآيةَ التي قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾، فخرّ مغشياً عليهِ، فحركوُه فإذا هو ميتٌ، فغسلوه وأخرجوهُ ودفنوهُ ليلا، فلما أصبحوا رُفعَ ذلكَ إلى عمرَ رضي الله عنه، فجاءَ إلى أبيهِ فعزاهُ بهِ وقالَ: ألا آذنتني قالَ: يا أمير المؤمنين: كان الليلُ، فقالَ عمرُ: اذهبوا بنا إلى قبرهِ، قالَ: فأتى عمرُ ومن مَعَهُ القبرَ، فقالَ عمرُ مخاطباً الشابَّ الذي ماتَ من شدةِ خوفهِ من اللهِ، قال: يا فلانُ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾،

فأجابهُ الفتى من داخلِ القبرِ: يا عمرُ قد أعطانيهِما ربي عَزَّ وَجَلَّ في الجنةِ مرتين[1].

ولواقع هذا المقام العظيم ـ أقول:-

جَنَاتُ ذِكرِكَ في الفُؤادِ مَعالمٌ ومَعاني حُبكَ لِلجِنانِ حَنانُ
ووِدادُ حُبِكَ للجِنانِ مَحاسِنٌ تَبقى وحُبكَ لِلنَعيمِ جِنانُ

ـ اللّهم إنا نسألك الفردوسَ الأعلى برحمتك.

ـ اللّهم كرمك اللائق بذاتك الأقدس يا الله ـ تباركَ ربُّنا وتعالى وتقدس؛ يا لطيف يا واسع يا عليم.

ـ اللّهم أعنّا على ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبادَتِكَ.

ـ اللَّهُمَّ إِنّا نسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى.

---

(١) ((ذم الهوى)): لأبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، (ص٢٥٣).

ـ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْـبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ.

ــ اللّهــم اغفــر لنــا وارحمنــا ووالــدينا وجميــع المــؤمنين والمؤمنــات الأحيــاء مــنهم والأمــوات، برحمتك يا ارحم الـراحمين، ويـا أكـرم الأكـرمين، ويا أجود الجوادين، يا الله. آمين آمين.

ــ اللَّهــم إنــا نســألكَ فِعــلَ الخـيراتِ، وتَـرْكَ المنكرات، وحُبَّ المساكين، وأن تغفرَ لنا وترحمنـا، وإذا أردتَ بعبــادك فتنــةً فاقْبِضــنا إليــك غــيرَ مفتونين، اللَّهــم إنــا نســألكَ حُبَّــكَ وَحُــبَّ مــن يُحِبُّكَ وحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنا إلى حُبِّكَ.

ـ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِـنْ خَيْـرِ مَـا سَـأَلَكَ مِنْـهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَـرِّ مَـا اسْـتَعَاذَ

مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّـدٌ ﷺ وَأَنْـتَ الْمُسْـتَعَانُ وَعَلَيْـكَ الْبَلَاغُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

ـ اللّهم صلِّ وسلِّم وبارِكْ على سيِّدِنا مُحمّـدٍ عبدِكَ وَحبيبِكَ خَـاتَمِ أنبيائِـكَ ورسـلِكَ ـ عَلَيْـهِ وعَلَيْهِم أجمعين ـ بِعددِ خَلقِـكَ، وَرِضـاءِ نَفسِـكَ، وزِنَةِ عَرشِكَ، وَمِدادِ كَلماتِكَ، وبِعدَدِ كـلِّ مَعلـومٍ لَكَ، وعلى أهلِ بَيتهِ الأَطْهار، وأَصْحابِهِ الأَخْيَـار، وتـابعيهِم بإحسـانٍ إلى يَـوْمِ التَنـاد، آمـين آمـين، يا مولانا يا ربَّ العالمين.

ـ سبحانك اللّهم وبحمدك، اشهد أن لا اله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾[1].

تم الجزء الثاني بتوفيق الله تعالى من "الرسالة الثامنة"، ويليه الجزء الثالث ـ إن شاء الله تعالى؛ وهو يتحدث عن "المرتبة الرابعة" من مراتب التقوى الستة؛ وهي: العمل "بالمبرات أو الطاعات" وهي "الأركان الخمسة في الإسلام".

ونرجوه ـ جلَّ وعلا، أن يختم لنا بالخير، وأن يوفقنا للإعراض عن الغير، والحمد لله بدءً وختاماً، ويوم العرض عليه سبحانه.

خادم الدين والأمة
الشيخ عباس السيد فاضل الحسيني النقشبندي
العراق ـ سامراء ـ القلعة

---

(١) سورة الصافات.

سِلسِلةُ الحقِّ والنُّور

الرِّسالةُ الاولى : الشخصية الأسلامية العالميَة .

الرِّسالةُ الثانية : صرخةٌ للدين والأمة .

الرِّسالةُ الثالثة : منهجُ العمل الروحي الإسلامي (التصوف) .

الرِّسالةُ الرابعة : الهدى والنور في الرسالة والخاتمية .

الرِّسالةُ الخامسة : الموازنة بعقيدة الغيب .

الرِّسالةُ السادسة : آية الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفوائدها في الدنيا والآخرة .

الرِّسالةُ السابعة : من أحوال رمضان وليلته المباركة .

الرِّسالةُ الثامنة : ميزانُ الاعتدال لحفظ الدين والأحوال : (٦) أجزاء .

الرِّسالةُ التاسعة : حنين الفؤاد لأهل العقيدة والدلالة والصلاح .